

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٠٧١ : خ ١ - بر الوالدين ، خ ٢ - قصة زوجة عثمان بن مظعون .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٥-٠١-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً بمن جحد به وكفر .
وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيء قدير .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تمهيد :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ورد في الأثر أنه : من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر ، يسأل الله بعظمته أربعين سؤالاً ، ويقول الله عز وجل :

((عبادي طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة ، وكل يوم أنظر إلى قلبك وأقول :

ما تصنع لغيري وأنت محفوفٌ بخيري؟! أما أنت فأصم لا تسمع))

[ورد بالأثر]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يطهّر الإنسان منظر الخلق ، يحسّن بيته ، يعتني بهندامه ، ينظّف متجره ، يطلي بيته ، يشتري أثاثاً جديداً ، يتعطر ، يتطيّب ، هذا منظر الخلق ، فماذا فعلت بمنظر الحق ؛ وهو القلب ؟ أفيه غل ؟ أفيه حسد ؟ أفيه ضغينة ؟ أفيه شرك ؟ أفيه حقد ؟ أفيه بغضاء .

((طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة ، وماذا تصنع لغيري وأنت محفوفٌ

بخيري؟! أما أنت فأصم لا تسمع))

[ورد بالأثر]

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء الآية: ٨٨-٨٩]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)

[سورة الأعلى الآية: ١٤-١٥]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[سورة الشمس الآية: ٩-١٠]

أيها الإخوة الأكارم ؛ طهّروا منظر الله عزّ وجل ، ألا وهو القلب ، لأن الله ينظرُ إليه في كل حين ؛ قد يرى محبوباً غيره فيعرض عنه ، قد يرى شريكاً ، قد يرى تعلّقاً بالدنيا ، قد يرى الدنيا أكبر همّ القلب ومبلغ علمه .

((ما استرذل الله عبداً إلا حطر عليه العلم والأدب))

[ورد بالأثر]

((طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة))

[ورد بالأثر]

ماذا تصنع ؟ ماذا تنتظر ؟ ما الذي سيأتي بعد أيام ؟ أليس الموت هدف كل إنسان ؟ أليس الموت نهاية كل مخلوق ، ماذا بعد الموت ؟ أليكون الموت نهاية الحياة ؟ ليته ذلك ، ولكن الموت بداية حياة أبدية ، بداية حياة سرمدية .

(لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

[سورة الأعلى الآيات: ١٣-١٦]

((طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة))

[ورد بالأثر]

وتطهير القلب يحتاج إلى صلة مُحكمة بالله عزّ وجل ، والصلة المحكمة بالله عزّ وجل تحتاج إلى استقامة على أمره وفعل للصالحات .

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً هي الاستقامة

(فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

هي العمل الصالح ، شرطان أساسيان كي يحقّقا الصلة التي بها تشفى القلوب ، وتُحى بها الذنوب ، وتذهب الأدران ، ويصبغ القلب بصبغة الله الكريم .

أيها الإخوة المؤمنون ... لا تنسوا هذا القول :

((عبي طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة ، وكل يوم أنظر إلى قلبك وأقول :

ما تصنع لغيري وأنت محفوف بخيري))

[ورد بالأثر]

برّ الوالدين :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الخطبة موضوعان ، الأول : برّ الوالدين ، فانه سبحانه وتعالى يقول :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

الآية واضحة كالشمس ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، العبادة لله وحده ، ولا مخلوق في الأرض - كائناً من كان - يُطاع بمعصية الخالق ..

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

الطاعة لله والإحسان للوالدين ، ولكنَّ الحالات الصَّعبة التي ينبغي أن يحتملها المؤمن .

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

بلغ الأب من الكبر عتياً ؛ ضعفت ذاكرته ، ضاقت نفسه ، صارت طلباته كثيرة ، وهو عندك في البيت ، عندك وقد كبرت سنه ، عندك وقد ضاقت نفسه .

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما برَّ أباه من شدَّ طرفه إليه))

[أخرجه الطبراني]

نظر إليه هكذا ، ما برَّ أباه .

لو أنَّ في اللغة كلمة أقلَّ من كلمة "أفٍ" لقالها الله عزَّ وجل ، أقل كلمة تيرم في اللغة كلمة " أف " هي حرامٌ ، نهى الله عنها ، فما قولك يا أخي المؤمن بما فوقها ؟ فما قولك بمن يُقيم دعوى على أمه أو على أبيه ؟ ما قولك بمن يسبُّ والديه ؟ ..

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *)

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣-٢٤]

قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق))

[من كنز العمال : عن أنس]

وقال عليه الصلاة والسلام :

((من هجر أحد والديه ساعة من نهار))

لا يوماً بكامله ، لا أسبوعاً بكامله ، لا شهراً بكامله بل ساعة من نهار .

((كان من أهل النار حتى يتوب))

[ورد بالأثر]

عن أبو بكر رضي الله عنه قال : كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا))

[أخرجه البخاري ومسلم]

هناك صغائر ، وهناك كبائر ، وهناك أكبر الكبائر

((قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِنًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ

الزُّورِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

هذه أكبر الكبائر ، كيف أن الله سبحانه وتعالى قرّن الإحسان إلى الوالدين مع عبادة الله عزّ وجلّ..

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

كذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِنًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ليعمل العاقُ ما شاء أن يعمل فلن يغفر له))

((ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة))

[من كنز العمال : عن معاذ]

عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لَا تَرَعْبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

واجب الآباء اتجاه أبنائهم :

أيها الإخوة المؤمنون ، هذا الكلام نقوله للأبناء ، فماذا يجب أن نقول للآباء ؟ قال عليه الصلاة والسلام :

((رحم الله والداً أعان ولده على برّه))

عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة رحمه الله :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَفُوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود]

أن يضيع من يفت من أولاده ..

((ليس منّا من وسّع الله عليه ثم قتر على عياله))

عليك إذا وسّع الله عليك أن توسّع على عيالك ، عليك أن تتعاهد أولادك ، أن تراقب سيرتهم ، أن تراقب اتجاهاتهم ، أن تراقب من يصحبون ، عند من يسهرون ، من يزورون ، من يرافقون لأن الرفيق السيئ خطرٌ وبيلٌ على الابن .

صحابيُّ سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال :

يا رسول الله ما حقُّ ابني هذا ؟

قال :

((أن تحسن اسمه وأدبه وأن تضعه موضعاً حسناً))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((لاعب ولدك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه))

لاعبه سبعاً ، وأدبه سبعاً ؛ من واحد إلى سبعة لا يُجدي معه التأديب ، من السابعة حتى الرابعة عشر أدبه ، علمه الأمانة ، والصدق ، والاستقامة ، من الرابعة عشر وحتى الواحد والعشرين راقبه، لا هو شابٌ فيكونُ حكيماً ، ولا هو طفلٌ فيرضى أن يؤنَّب ، وبعد الواحد والعشرين اجعله صديقاً لك لأنه قد عرف الخير من الشر ، وبلغ رشده .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((من قبلُ ولده كتب الله له حسنة ، ومن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((أحبُّوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم ففوا لهم ، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم))

وينبغي للرجل أن ينزل عن بُرجه العاجيِّ إلى مستوى أولاده الصغار ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

((من كان عنده صبيٌّ فليتصاب له))

[من الجامع الصغير : عن معاوية]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

((وسووا بين أولادكم في العظيمة ، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء))

[من كنز العمال : عن ابن عباس]

ويقول عليه أتم الصلاة والتسليم :

((ميراث الله عزَّ وجل من عبده المؤمن ولده يعبده من بعده))

ماذا يرث الله منك ؟ هل يرث الله بيتك ؟ أم أثاث بيتك ؟ أم المبلغ الذي تركته في الصندوق ؟ الله سبحانه وتعالى يرثُ منك ولدك الصالح المؤمن ، الذي يعبده من بعدك . فإذا خَلَفْتَ عالماً فالأجر أكبر ، ومن نعمة الله على عبده أن يشبَّهه ولده ، إن كنت أخلاقياً وأنعم الله عليك بولدٍ أخلاقي ، إن كنت دينياً وأنعم الله عليك بولدٍ ديني ، إن كنت مستقيماً وأنعم الله عليك بولدٍ مستقيم ، إن كنت محباً لله ورسوله وأنعم الله عليك بولدٍ محبٍ لله ورسوله ، إن كنت تحب القرآن وأنعم الله عليك بولدٍ يحب القرآن فهذه نعمة لا تقدَّر بثمن .

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل ، فقال:
((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَا حَ مَالِي فَقَالَ أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ))

[أخرجه أبو داود]

هذا حُكْمُ الشرع ، لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وجَّه الآباء توجيهاً لطيفاً ، قال :

((يأكل الوالدان من مال ولدهما بالمعروف))

[من كنز العمال : عن جابر]

لأن هذا الشاب يعمل وسوف يبني مُستقبله ؛ عليه أن يشتري بيتاً ، عليه أن يتزوَّج ، أن يدفع مهرَ زوجته ، خُذ من دخله ما يسمح له بتأسيس أسرةٍ في المستقبل ..

((يأكل الوالدان من مال ولدهما بالمعروف ، وليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنهما))

[من كنز العمال : عن جابر]

العكس غير صحيح ، أنت ومالك لأبيك صحيح ، أما أن تقول : مال أبي لي . لا !!؟

((ليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنهما))

[من كنز العمال : عن جابر]

عن أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه الترمذي]

فهذا الكلام موجَّهٌ للزوجات ، أحياناً تريد أن تُسنَّأثر بزوجها وتحرمه من أمه ، وتحرم أمه منه .
فَلِلهذه المرأة العاتية ، الظالمة .

((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه الترمذي]

منزلة الخالة والأخ :

من مئمَّات هذا الموضوع قال عليه الصلاة والسلام :

((الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ ، وَالْأَخُ الْأَكْبَرُ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِّ))

[من سنن أبي داود : عن علي]

هذا هو الأدب . لذلك :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((لَيْسَ مِثْلًا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا))

[أخرجه الترمذي]

الخالة بمنزلة الأم ، والعم والد ، والأخ الأكبر بمنزلة الأب .

أيها الإخوة الأكارم ؛ وجّهوا أبنائكم الصغار أن يوقروا إخوانهم الكبار توقيراً يُشبه توقير الآباء ، لأن الأخ الأكبر بمنزلة الوالد ، فإذا غاب الأب - مسافراً - أتيج لهذا الأخ الأكبر أن يوجّه إخوته ، وأن يُرشدّهم إلى الطريق الصحيح .
روي عن أبي أمامة أن رجلاً قال :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا ؟ قَالَ : هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ))

[من سنن ابن ماجه : عن علي بن يزيد]

إما أن تدخل ببرهما الجنة ، وإما أن يدخل بعقوقهما النار .

وهذا الحديث قاله النبي عليه الصلاة والسلام للزوجة ، قال :

((انظري أين أنت منه ، إنما هو جنتك ونارك))

[من كنز العمال عن سعد]

إن أطعته وأحسنت تبعلّه فهو جنتك ، أي أنّ طاعتك له وحسن تبعلك له يدخلك الجنة ، وإذا عصيته وخرجت من غير إذنه ولم تحسني معاشرته قد تدخلين النار بسبب هذا ..

((انظري أين أنت منه ، إنما هو جنتك ونارك))

[من كنز العمال عن سعد]

عن عبد الله بن مسعود سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

((أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

أحب الأعمال إلى الله الصلاة في وقتها وبرّ الوالدين .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

((إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه . قال : هل بقي من والديك أحد ؟ قال : أمي . قال قابل الله في

برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني]

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

((يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وصليت الخمس ، وأدبت زكاة مالي ،

وصمت رمضان ، مالي ؟ أي مالي من الأجر هل بقي شيء ؟ - فقال عليه الصلاة والسلام -

اسمعوا ودققوا -- من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ،

وشابك بين أصابعه ، ما لم يعقّ والديه))

[أخرجه الطبراني]

فإذا عَقَّ والديه لا تنفعه لا صلاته ، ولا صيامه ، ولا حجّه ، ولا زكاته ، ولا شهادته .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :

((كل الذنوب يؤخّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة))

[أخرجه الحاكم]

أيُّ أنَّ هناك ذنوب يؤخِّر الله عزَّ وجلَّ عقابها إلى يوم القيامة

((إلا عقوق الوالدين فإن الله سبحانه وتعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات))

[أخرجه الحاكم]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ روي عن عبد الله رضي الله عنه بن أوفى قال :

((كُنَّا عند النبي صلى الله عليه وسلَّم فأتاه أتٍ قال : يا رسول الله شابٌ يجود بنفسه - أي أنه ينازع - فقيل له : قل لا إله إلا الله فلم يستطع . فقال عليه الصلاة والسلام : أكان يُصلي ؟ قالوا : نعم . فنهض النبيُّ الكريم ونهضنا معه فدخل على الشاب ، وقال : قل لا إله إلا الله . فقال : لا أستطيع . قال : لم ؟ قيل له : كان يَعُقُّ والدته ، فقال النبيُّ : أحيَّة والدته ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوها . فدعوها فجاءت فقال النبيُّ الكريم : أهذا ابنك ؟ قالت : نعم . قال لها : رأيتِ إن أجَّجتِ نارَ ضخمة فقيل لك إن شفعت له خَلِينَا عنه ، وإلا أحرقتاه بهذه النار ، أكنتِ تشفعين له ؟ قالت : يا رسول الله إذا أشفع له . فقال : فأشهد الله وأشهديني أنكِ قد رضيت عنه . قالت : اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عنه . فقال عليه الصلاة والسلام : يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله . فقالها الغلام . فقال عليه الصلاة والسلام :

الحمدُ لله الذي أنقذه من النار))

[أخرجه الطبراني]

ربِّما كان عقوق الوالدين يُفضي بصاحبه إلى النار .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيخطئُ غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، واشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

قصة سيدنا عثمان بن مظعون مع نفسه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قالت أمهات المؤمنين : دخلت علينا زوجة عثمان بن مظعون ، وكان عثمان بن مظعون أغنى رجلٍ في قريش ، فرأيتها في هيئةٍ لا تُرضي - هيئةٍ رثة - فسألناها كيف حالك على هذا وأنت زوجة أغنى رجلٍ في قريش ؟ قالت هذه الزوجة لهن : وماذا أفعل بغناه إنه قوامٌ في الليل صوامٌ في النهار .

إنها عبارة مهذبة ، وشكوى مؤدبة ، وكناية لطيفة ، وفي التلميح ما يُغني عن التصريح - وماذا أفعل بغناه إنه قوامٌ في الليل صوامٌ في النهار - لقد أدركت أمهات المؤمنين أن أحد بيوت المؤمنين فيه اضطرابٌ وشكوى ، فشكّونَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقبه النبي الكريم وقال:

((يا عثمان))

وكان عثمان أخاه من الرضاعة .

((أليس لك في أسوة حسنة ؟))

قال عثمان :

نفسي لك الفداء يا رسول الله .

((يا عثمان فماذا أنت فاعل ؟))

فقال :

يا رسول الله نفسي تُحدّثني بأشياء - لم يفعلها بعد -

قال :

((وما هي يا عثمان ؟))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أختصي ؛ أي أن أبتعد عن هذا الموضوع كلياً .

فقال عليه الصلاة والسلام :

((مهلاً يا عثمان فإنّ خصيَّ أمتي الصيام))

كان النبي الكريم يصوم يوم الاثنين والخميس ، ويقول للشباب :

((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))

[من الجامع الصغير : عن ابن مسعود]

والله سبحانه وتعالى يقول :

(وَلَيْسَتُغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)

[سورة النور الآية: ٣٣]

هذه واحدة .. قال :

((ماذا أنت فاعلٌ يا عثمان ؟))

فقال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض ؛ أظل ماشياً حتى يدركني الموت .

فقال :

((مهلاً يا عثمان فإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله والحج والعمرة))

هذه سياحة أمته

((وماذا أنت فاعلٌ أيضاً يا عثمان ؟))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أعتكف في الجبال ؛ أوي إلى مغارةٍ أتعبدُ الله فيها .

فقال :

((مهلاً يا عثمان فإنَّ رهبانية أمتي))

فقال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أهجر زوجتي .

قال :

((مهلاً يا عثمان فإن خيركم من أتاني يوم القيامة وله زوجة ، وإن شراركم عذابكم ، وأراذل

موتاكم عذابكم فيما تحدثك نفسك يا عثمان أيضاً))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق زوجتي .

قال :

((مهلاً يا عثمان تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتزُّ منه عرش الرحمن))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ملعونٌ من حلف بالطلاق أو حلف به))

[من كشف الخفاء]

((فيما تحدثك نفسك يا عثمان ؟))

قال :

نفسي تحدثني ألا أكل اللحم .

فقال :

((مهلاً يا عثمان إني أحب اللحم وأكله . فيما تحدثك نفسك يا عثمان ؟))

قال :

نفسي تحدثني ألا أستعمل المسك .

قال :

((مهلاً يا عثمان فإن جبريل أمرني أن أستعمله . يا عثمان لا ترغب عن سنتي ، فإنه من رغب

عن سنتي فمات قبل أن يتوب صرّفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة))

[من تخريج أحاديث الإحياء]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ لِكَيْ أُصُومَ وَأَقْطِرُ وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النَّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[أخرجه البخاري ومسلم]

* * *

تزوج ، واسكن في بيت ، واعمل عملاً ينفع عباد الله ، وفكر في خلق السماوات والأرض ، اعمل أعمالاً صالحة تُرقي بها عند الله ، ماذا يفعل أن تسكن في رأس الجبل ؟ ماذا تفعل للناس ؟ هذا موقفٌ سلبي ، هذا هروبٌ من المجتمع ، المؤمن يواجه مصاعب الحياة ، المؤمن عنصرٌ إيجابيٌ في المجتمع ، المؤمن يفعل الخيرات ، يعمل الصالحات ، يأمر بالمعروف ، ينهى عن المنكر ، يعطي الفقير ، يواسي المسكين ، يعودُ المريض ، يحسن إلى الزوجة ، يربي أولاده ، هذا هو المؤمن . النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا كله ، وإن صَحَّتْ هذه القصة عن عثمان بن مظعون فهذا موقف النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك .
اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارضنا عنا .
اللهم إننا بالعلم ، وزينا بالحلم ، وأكرمنا بالتقوى ، وجملنا بالعافية ، وطهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، واحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آماننا ، واختم بالصالحات أعمالنا يا أكرم الأكرمين .
اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين .
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين يا رب العالمين .
اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولائهم إلى ما تحب وترضى إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين